البستاني

للشاعر الفيلسوف طاغور

— ٢٥ —

— « تعال إلينا — أيها الشاب — وخبّرنا : لماذا تبدو سمات الحيرة في نظراتك ؟ »

— « لست أدري أي خمر من عصير الخشخاش المنثور شربتُ ؛ هذا هو ما نقش سمات الحيرة في نظراتي »

— « آه ، يا للعار ! »

— « نعم ، إن في بعض النظرات حكمة وفي البعض غباء . في بعضها اليقظة وفي البعض الأهمال . وهنا أعين تبسم وهناك عيون تذرف الدمع ... غير أن سمات الحيرة تبدو في نظراتي »

* * *

— « لماذا تقف أيها الشاب — صامتاً في فِناء شجرة ؟ »

— « لقد تعثّرت قدماي من أثر القيد الذي يثوه بقلبي ، فوقفت صامتاً في فنائه »

— « آه يا للعار »

— « نعم ، إن بعض الاقدام تنطلق على سجيتها والبعض يتمهل ، إن بعضاً يستمتع بالحرية والبعض يستشعر ثقل القيد ... أما قدماي فقد تعثرتا من أثر الثقل الذي يثوه بقلبي »

— ٢٦ —

— « إن ما تجود به يداك في رضا سأتقبله ثم لا أسأل غيره »

— « نعم ، إني أعرفك أيها السائل الرفيق ، وأنت تطلب كل ما أملك »

* * *

— « وإذا أذنت قطفتُ زهرة من زهر تلك فسأضعها في ثنايا ثيابي »

— « وإذا كانت حسكة ؟ »

— « إذن أحملها في صبر »

— « نعم . نعم إني أعرفك أيها السائل الرفيق . فأنت تطلب كل ما أملك »

* * *

— « لبثت زمنين إلى وجهي نظراتك الحبيبة مرة واحدة . إذن تتلاشى في حياتي السعادة الأبدية

— « وإذا كانت حدجات قاسية ؟ »

— « إذن أدعها تخز قلبي »

« نعم . نعم . إني أعرفك أيها السائل الرفيق ، فأنت تطلب كل ما أملك »

— ٢٧ —

— « آمن بالهوى المحض ولو أورث الأسى ، ولا يضلق قلبك دوني »

— « آه . لا يا صديقي ، ان كلماتك غامضة لا أستطيع فهمها »

* * *

— « يا من أحب ، إن القلب صُنع ليتشبع من عبرة وأنينة في وقت معاً »

— « آه لا يا صديقي إن كلماتك غامضة لا استطيع فهمها »

* * *

— « إن اللذة واهية كنسمة فطرة ندى تنسم وهي تموت ، اما الحزن فهو شديد معمّر . فاجعل الهوى الحزين يشعر في الطريق »

— « آه . لا يا صديقي إن كلماتك غامضة لا استطيع فهمها »

* * *

— « ان زهرة اللوتس تزدهر تحت نظرات الشمس ثم تفقد كل ما أصابت إنها لن تظل إلى الأبد في كمها في ضباب الشتاء السرمدي »

— « آه لا يا صديقي ان كلماتك غامضة لا استطيع فهمها »

— ٢٨ —

إن في نظراتك المستوضحة أسى . ثم تحاول أن تكشف عن معنى قلبي كما يلتمس الغمر أن ينفذ إلى أعماق البحر

لقد قضيت أيام حياتي جميعاً أنعم بنظرتك في غير حياء ولا موارية . وهذا فأنت تجهليني

بينما كانت دُرّة فأحطتها ثم أفلتها عقداً أزين به جيدك
بينما كانت زهرة صغيرة مستديرة جذّابة فأقطفها لأحلي بها شعرك
ولكنهُ قلبي — يا من أحب — فأين شاطئاه وأين غوره؟
إنك لا تستطيعين أن تحدي حدود هذه المملكة حتى حين قد جلست أنت على عرشها
بينما كانت لحظة من لحظات اللذة تتفتح عن بسمة سهلة تستطيعين أنتِ — في لحظة — أن تنظري إليها وتستشفّي ما بين سطوره
بينما كانت من خلاص الأبد تتذوب في عبرات رقراقة، ينعكس عليها السر العظيم في غير حديث
ولكنه هو الهوى، يا من أحب
إن لقادته وآلامه لا نهائية، وان رجاءاته ومخاوفه لا عمر لها
وهو قريب منك كحياتك، ولكنك لن تحيطي به علماً

— ٢٩ —

تحدّث اليّ — يا مَنْ أحب — وحدثني، في كلام، عن أغانيك
لقد أغطش الليل، وتسربلت النجومُ السحب. وراحت الرياح تتنهد خلال أوراق الشجر
عن أصفف شعري، وسأتلفع بعباءتي الزرقاء، وهي كأنها الليل، ثم أضم رأسك الى صدري، وهناك في الخلوة الحبيبة الى نفسي أهمس في قلبك، وأغمض عينيّ في سكون ثم لا أحدّق في وجهك
وحين تنتهي كأنك، نجلس معاً في هدوء وصمت، والأشجار من حولنا تهمس في القلق
حين تتهرم الليل وتتنفس الصبح
ويحدّق كل منا في عيني رفيقه ثم ينطلق الى عمله
فتحدّث اليّ — يا من أحب — وحدثني، في كلام، عن أغانيك

— ٣٠ —

أنت سجينة بسماء التي تسبح في سماء أحلامي

اني أصوّرك وأشكالك كما يحلو لرغبات هواي
فأنت لي ، لي يا من تعيشين في أحلامي الخالدة !

* * *

إن قدميك في احمرار الورد من أثر تجيج رغبات قلبي ، يا من تحصدين أغانيّ عند الغروب !
إن شفتيك فيهما الحلاوة اللذاذة ، وهما في مذاق خمر آلامي
فأنت لي ، لي يا من تعيشين في أحلامي الخالدة !

* * *

أفمنعتُ الدمع في عينيك حين مددت ظلال حبي، يا من صدت الى غور نظراتي!
لقد جذبتك إليّ ، يا من أحب ، ولفتك في شباك موسيقاي
فأنت لي ، لي يا من تعيشين في أحلامي الخالدة !

— ٣١ —

إن قلبي ، الطائر الهائم ، قد وجد سكناه في عينيك
فهما مهد الصباح ، وهما دولة النجوم
وإن أغانيّ تضلّ في أعماقهما
فدعيني أحلق في سمائهما . . . في فضائهما المتسق الخالي
ودعيني أخترق غمامهما لأنشر جناحي تحت أشعة شمسها

— ٣٢ —

خبرني ، ياحبيبي ، أكلّ هذا حق ، خبرني أكلّ هذا حق ؟
أنهُ حين ترسل عيناي شعاعهما اللامع ، تنصف له سحب صدرك المكفهرة
أحق أن في شفتيّ حلاوة كما تشتهي كما هوى الأول ؟
أفتختلج في أطرافي ذكريات شهور مابو المنطوية
أفتتفجر الأرض ، كأنها فيثار — عن لحن موسيقي تحت لمسات ندي ؟
أحق أن عيني الليل تتذوقان ذكريات الندى حين تبصران بي ، وأن نور الصباح يبدو وردياً طروباً حين يضمني اليه ؟
أحق ، أحق أن غرامك قد حرق الأحقاب والدهر يلتمس عني ؟
وأنك حين وجدتني ، وجدت رغبة القدماء الخفية في حبيبي الغريب
وفي عينيّ ، وفي شفتيّ ، وفي شعري الناعم المسترسل

ثم ... أحقاً ان سر الأبدية مستور على هذا الجبين الصغير ... حبيبي ؟
خبرني ، ياحبيبي ، أكل هذا حق ؟

— ٣٣ —

أنا أحبك . يا حبيبي . فاغفر لي حبي
إني سأخوض كطائر ضل الطريق
حين اضطرب قلبي سقط عليه قناعه فبدا سافراً . فقلت — يا من أحب — في الأحزان ، واغفر لي حبي

* * *

وإذا لم تستطع ان تحبني — يا من أحب — فاغفر لي آلامي
ولا ترمقني شزراً من بعد
فسأتنحى الى زاوية . وأنطوي على نفسي في الدجى
ثم أداري خيبتي السافرة بكلتا يدي
أدر وجهك عني — يامن أحب — ثم اغفر لي آلامي

* * *

وإذا كنت تحبني — يامن أحب — فاغفر لي أفراحي
وحين ينتفض قلبي من إغريض السعادة الذي يغمره فلا تميل الى الهجران القاتل
وحين أستوي على عرشي فأحكم فيك بأمر الهوى العاني ، وحين أسبغ عليك بعض آلاني كأني آلهة ، فاصبر على كبريائي — يامن أحب — واغفر لي أفراحي

— ٣٤ —

لا تبرح — ياحبيبي — إلا أن آذن لك
لقد سهرت طول الليل أرقب . والآن أستشعر الكرى يداعب جفني
غير أني أخشى أن أفقدك حين أخلد سنة من النوم
فلا تبرح — ياحبيبي — إلا أن آذن لك

* * *

حين قمت . وراني نشرت شعري على عاتقي ثم سألت نفسي لم هذا الحزن ؟
أستطيع أن أقيد قميصك بدمي وأشدها الى صدري ؟
فلا تبرح — ياحبيبي — إلا أن آذن لك

— ٣٥ —

إنك تداعبني خيفة أن أنصرف عليك في سهولة
وأنت تنطوي على حبي بابتسامات متألقة توارى في عيراتك
لقد عرفت ... عرفت خداعك
فأنت لا تقول البتة ما تريد

* * *

أنت تفلت مني في أساليب شتى خشية ألاَّ أجازيك
وأنت تقف على حيد الطريق خشية أن أنفدك وسط هذا الناس
غير أني عرفتُ ... عرفت خداعك
فأنت لا تسير البتة على الطريق الذي تريد

* * *

إنك تطلب اليَّ أكثر مما ينفي سواك ، ولذلك فأنت دائماً في صمت
وفي اهمال لطيف تتجنب هدايي
غير أني عرفتُ ... عرفت خداعك
فأنت لا تأخذ البتة ما تريد

— ٣٦ —

لقد همس في أذني «يحييني ، ارفعي اليَّ عينيك »
فدفعته عني في شدة وأنا أقول «تتح! » غير أنه لم يبأ
ووقف قبالتي ، ثم أمسك بيديَّ ، فقلتُ «دعني !» غير أنه لم يبأ

* * *

وقارب بين وجهه وأدني . لحدجته بنظرة وأنا أقول «يا لعار!» غير أنه لم يرتد
ولمست شفتاه خدي فانتفضتُ ثم وقفت «لقد أثبت عظماً !» غير أنه لم يستشعر الخزي

* * *

ووضع زهرة في شعري ، فقلت «عبثاً ما تحاول !» غير أنه وقف ساكناً
ثم سلبني قلادة الزهور والعطر ، ودفنت أنا وأسأل نفسي «لماذا لم يرجع ؟»

— ٣٧ —

أتنضمين زهراتك الذابلة حول عنقي ، أيتها الحسناء ؟
لكن لا بد أن تعلمي أن هذا العقد الذي رفعتِ هو الكثير ، لأولئك الذين

يبدون من خلال الومضات ، أو للذين يسكنون الأرض المجهولة ، أو لمن يعيشون في أغاني الشعراء

* * *

لقد تصرَّم زمان كنت تستطيع فيه أن تسألني قلبي ثمناً لقبلك
إن بارقة الأمل كانت حين كانت حياتي كالكم بكم عطره بين ثنايا قبلة
أما الآن فلقد انتشر هنا وهنالك
من ذا يستطيع الرقية التي تستطيع أن تلم ما انتشر منهُ وتحبسهُ مرة أخرى
ليس قلبي لي فأستطيع أن أحبوه من شاء ، فقد توزَّعهُ كثير

— ٣٨ —

ياحبيبتي ، في ذات مرة ، كان شاعرك بهيء في خياله ملحمة عظمى
يا أسفاً ، إني لم أكن حريصاً ، فاصطدمت بخلاخيلك الرنانة فاستحالت الى شيء من الأسى
وتحطمت الى قطع من الأغاني تناثرت عند قدميك
إن ما أكثر من أقاسيهم الحروب الأولى قد تناوحته الأمواج الضاحكة ، وغمرتهُ البرات ، ثم طوتهُ الثلجة
فاجعلي ، يا من أحب ، من هذه الخسارة نفعاً لي
واذا كان أملي في الشهرة الخالدة بعد الموت قد تهدَّم فاجعليني أبدئها في حياتي
وإذن لن آسى على خسارتي ولن أعتب عليك

— ٣٩ —

أنا أحاول ، كل صباح ، أن أقطف كليلاً من الزهر ، غير ان الزهرات تفلت من بين يدي وتسقط
وأنت جالسة هناك ترقبيني في خفاء من خلال زاوية عينيك المتفرستين
على هاتين العينين وهما تحكان لي شركاً ... سليمى من الخطيئة

* * *

وعبثاً حاولت ان أترنم بأغنية
إن عن شفتيك ابتسامة خفية تضطرب ، فصمتي عن سبب اخفاقي

ودعي شفتيك الباسمتين تتحدثان : كيف تلاشى صوتي في السكون كما تفعل القبلة الكبرى في زهرة النرجس

* * *

لقد أقبل المساء ، وآن للازهار أن تغفو

فأذني لي أن أجلس الى جنبك ، وأرسل شعتي تسللان عطرهما في السكون تحت ضوء النجوم الضئيلة

— ٤٠ —

إن ابتسامة فيها الريبة راحت ترتعش على عينيك حين أفلت أشعة ذلك في أن أبرح

لقد فعلت ذلك مراراً ليوقن خيالك بأني لا أبت أن اعود

وفي الحق لقد كان في خيالي مثل هذا الشك

إن أيام الربيع تعود حيناً بعد حين ، والبدر يتوارى ثم يرجع أخرى ، والزهور تزدهي فتنامها فتفترق عن ابتسامة سنة إثر سنة ، وهكذا أنا أنطلق لأعود ثانياً

ولكني أحفظ الوعد حباً بلا تدفعهُ عن نفسك في غير رفق ولا أناة

وحين أقول لك إني سأهجرك الى الأبد ثق بصدق عزيمتي ودع العبرات تترقرق ساعة في محجريك

ثم ابتسم كما يحلو لك حين أعود ثانياً

— ٤١ —

إني أهفو الى أن أتحدث إليك بأعمق الكلمات التي أكتمها في نفسي ، غير أني لا أستطيع ، خشية أن تسخر مني

هذا وأنا أغار من نفسي ، وأسحق سري بين طيات قلبي

ثم استرق الآلام خيفة أن تستبين أنت بها

* * *

إني أهفو الى أن أحدث إليك بأصدق الكلمات التي أكتمها في نفسي ، غير أني لا أستطيع ، خشية ألا تصدقها

هذا وأنا أداريها في حديث مرور ، وأقول غير ما أريد

ثم أسخر من آلامي خيفة ان تسخر أنت منها

* * *

إني أعفو إلى أن أتحدث إليك بأغلى الكلمات التي اكتمها في نفسي ، غير أني لا أستطيع ، خشية ألاّ أجد الجزاء

لهذا فأنا أغلظ عليك ، وأباهي بقوتي التي لا تكسر

ثم أجيزك خيفة ألاّ تستشعر الألم أبداً

* * *

أني اعفو الى أن أجلس الى جانبك في صمت ، غير أني لا أستطيع ، خشية أن يفلت قلبي من بين شفتي

لهذا فأنا أهذي كثيراً وأثرز لأطوي قلبي بين كلماتي

وأعاج آلامي في قسوة خيفة أن تعالجها أنت

* * *

إني أعفو الى أن أنأى عنك ، غير اني لا استطيع ، خشية أن يبدو لك ضعفي

لهذا فانا أصعّر خدي وأطلق اليك في غير اكتراث

وطلقات نظراتك الملتهبة تبعث الحياة دائماً في آلامي

— ٤٢ —

أيها المجنون ، أيها الثمل العظيم ،

اذا دعتك بابك لتنشر حماقتك على أعين الناس

واذا افرغت جعبتك في غسق الظلماء ، وأنت تحتقر الرزانة والعقل

واذا انطلقت على طريقتك الجميلة تعبث بالأشياء التافهة

فلا تعنّ بالنطق ولا العقل

واذا نشرت شراعك قبل العاصفة ، فلقد صدّعت الكان الى شطرين

واذن سأتبعك ، يا صاحبي ، ثم أشرب حتى أمشي ، ثم أنطلق الى نهايتي

* * *

لقد ضيعت عمري في صحبة حيران فيهم الرزانة والعقل

إن كثرة العلم شيبت رأسي ، وطول التأمل مسح على ناظري

لقد نصرّمت سنوات وأنا أجمع شذرات ومقتطفات ثم أكدّسها

خطمها جميعاً ، وأرفعها عليها ، ثم ذر الرياح تلعب بها

لا بد أرى أن غاية الحكمة أن أنشي ثم انطلق الى نهايتي

* * *

دع كل الوساوس والشكوك تتكسر ، ثم دعني أصل الطريق
ثم لتأت عاصفة هوجاء تتلقى في أضعافها
إن الدنيا تعج بالسابقة والعاملين ، وبمن يعملون في دقة ومهارة
وهناك ناس يرتزوا في سهولة ، وآخرون تقصمهم في رفق
فليكونوا هم في سعادة ورخاء ، أما انا فدعني أعيش عبثاً
غير أني أرى أن غاية كل رغبة أن أنشي ، ثم أنطلق الى نهايتي

* * *

إني أقسم أن أنزل الآن عن كل أمنية تدفعني إلى سماء التفوق
وأن أقذف بكبرياء العلم والمنطق
وأن أسحق ذاكرتي ، وأذرف آخر قطرة من عيراني
وأن أغسل ضحكاتي بزبد البحر لتبدو نقية لامعة
وأن أمزق شعار الأدب والعقل دفعةً واحدة
وأن أنظر الى المعهد المقدس كأنهُ شيء تافه ، ثم انشي وانطلق الى نهايتي

— ٤٣ —

لا ، يا صاحبي ، لن أكون ناسكاً وإن جهدت
لن أكون ناسكاً إلاّ ان تذر هي نفسها معي
لقد عزمت على أن لا أكون ناسكاً إلاّ أن أجد المأوى الظليل ، والصديق الذي يفاهمني آلامي

* * *

لا ، يا صاحبي ، لن أعبر داري ووطني الى عزلة في الغابة الخاوية ، إلاّ ان يرن صدى الضحكات المرحة في جنبات الظلال ، وإلاّ ان تتناوح ارياح الربيع مرطبة مزعفر ، وإلاّ أن تسري النسمات العبقة في أعماق صمتها
لن أكون ناسكاً

— ٤٤ —

أيها القديس المحترم ، انظر هذين الآثمين . إن رياح الربيع تهب اليوم زفزافة تذرو الثمار وأوراق الأشجار الذاوية ، فتتناثر معها دروسك

لا تقل ، يا سيدي ، إن الحياة حبث

لأننا هادئا الموت مرة ، وفي ساعة من زمان كنا سوياً في الخالدين

* * *

وإذا انحط علينا جيش الملك في غلظة ، فسنهز رؤوسنا في أسى ونقول : — يارفاق ، لقد ازعجتمونا . واذا كان لامعدى عن هذه الضجة فاذهبوا عنا ، ولتكن فعلتكم سلاحكم في مكان آخر ، لأننا كنا — منذ فترة — في الخالدين

وإذا أقبل الصحاب يتزاحمون حولنا فسنحني لهم رؤوسنا في أدب ونقول : إن هذا الاسراف في حسن التقدير يغيظنا . ليس في السماء اللانهائية، حيث نعيش سوية . لأن أزهار الربيع تتفتح في كثرة ، وأجنحة النحل النشيطة تتدافع في غلظة إن سماءنا الصغيرة ، التي تضمنا نحن الاثنين الخالدين ، لا تتسع لغيرنا

— ٤٥ —

سل الله أن يمهد السبيل للضيوف الذين يزحفون ثم يمشي على آثارهم

وضم الى صدرك في ابتسامة كل سهل وبسيط وقريب

إن اليوم عيد الأحياء التي لا تدري متى تموت

فاجعل في ضحكاتك صحات السرور الفارغ ، كالتبدو لمعات الضوء على أمواج البحر

ودع حياتك ترقص في خفة على حافة الزمان كأنها قطرة الندى على حافة ورقة الشجرة

ورفع على أوتار قيثارك ألحاناً متقطعة

— ٤٦ —

لقد خلقتني وحيداً وانطلقت على سبيلك

إني لأخشاني آسى عليك ، فأضع رأسي وحده في قلبي موتى بلحن ذهبي

ولكن ، آه ، يا لسوء الطالع ، إن الشعر قصير

أن الشباب يتصرم سنة فسنة ، وان أيام الربيع تطير ، والزهور الواهية تذوى في غير سبب ، والفيلسوف يتذرع بأن الحياة قطرة ندى على ورقة زهرة اللوتس أفأغضي عن كل ذلك لأنطلق في إثر فتاة تنطوي عني ؟

هذا عبث وحمق ، لأن العمر قصير

* * *

ولكن تعالي ، أيتها الليالي المعطرة ، في خصلات مضطربة ، وابسمي يا أيام الخريف الذهبية ، وتعالَ يا ابريل الغافل ، وانثر قبلاتك حوالينا

فتعالَ أنت ، وأنت ، وأنت أيضاً !

يا أحبائي ، أنتم تعلمون أنا ميتون ، أفيكون من الحكمة أن يتصدع قلب في سبيل فتاة تنطوي عنه قلبها ؟ على حين ان العمر قصير

* * *

إنه لجميل أن أنزوي في ناحية أتأمل وأكتب في أشعاري . إنك أنتِ دنياي

إن من البطولة أن يحمل المرء أحزانه ثم لا يقبل عزاء

غير أن وجهاً جميلاً ينظر اليَّ من خلال فرجات الباب ، ويحدّق في عيني

وأنا لا أستطيع إلاّ أن أمسح عني العبرات ، وإلاّ أن أغير نغم لحني

لأن العمر قصير

— ٤٧ —

إذا كنت ستفسرينها هكذا ، فأمسك عن الثناء

وإذا كانت تلفت في قلبك الاضطراب ، فأحول انظاري عن وجهك

وإذا كانت نبت الرجفة في خطواتك على حين فجأة ، فالتفت جانباً واتخذ طريقاً آخر

وإذا كانت نبث فيك الارتباك وانت ترتبين زهورك ، فتجنب حديقتك المنعزلة

وإذا كان يهيج لقاه في شدة ، فلن أدلم زورني إلى شطئك

— ٤٨ —

دعني أتحلل من قيود خلقتك . يا من أحب ، ولا تسكريني بخمرة قبلاتك

إن هذا الدخان الذي ينبعث من البخور النفّاذ يخنق قلبي

اذهبي الباب يتقد ضوء النهار

لقد ضلت فيك حين لفني في ثنايا ظرفك
فكّني من سحرك ، وردّي الي حريتي لأقدم لك قلبي الطليق

— ٤٩ —

لقد أمسكت يديها ووضعتهما على صدري
وحاولت أن أملأ ذراعيّ من جمالها ، وأن أنهب بسماتها الحلوة بعبلاني ، وأن أشفي هيمان عينيّ من نضراتها العميقة
آه ، ولكن أين هي ؟ من ذا يستطيع أن يجذب زرقة السماء ؟
لقد أردتُ أن أضم الجمال ، فأفلت مني ، ليذر بين يديّ الجسم وحده
فرحت أستشعر خيبة الأمل وانضا معاً
كيف ينبغي لجسم أن يمس زهرة لا ينبغي لغير الروح أن تمسها ؟

— ٥٠ —

يا من أحب ، إن قلبي يحنّ ، ليل نهار ، الى لقياك ... الفتيا التي يتراءى الموت الأحمر في جبينها
طوّحي بي في منأى كما يفعل الاعصار ، وخذي كل ما أملك ، وحطمي فيّ لذة الرقاد وهدوء الأحلام . ثم استليني من دنياي
في تلك الوحشة ، في تجرد الروح ، دعينا نتحد معاً في بهجة
وا أسفاً لهذه الأمنية الضائعة ! أين هذا الأمل في الاتحاد الروحي إلا فيكِ أنت ، يا إلهي ؟

— ٥١ —

إذن أتمي الأغنية الأخيرة لتبرح
وأسي هذه الأمسية حين ينطوي الليل
من ذا الذي أحاول أن أضمه بين ذراعي ؟ إن الأحلام لا تضم أبداً
إن يديّ المشوقتين تجذبان الى قلبي فراغاً فترشّان صدري

— ٥٢ —

لماذا خبا المصباح ؟
لقد كنت أسدل عليه عباءتي خشية أن تعبث به الريح ، لهذا خبا المصباح

لماذا ذبلت الزهرة ؟

لقد كنت أشمها اني صدوي في لهفة الحب . لهذا ذبلت الزهرة

* * *

لماذا جفَّ الغدير ؟

لقد كنت أعترض مجراه بالسدود ليكون لي وحدي ، لهذا جفَّ الغدير

* * *

لماذا انقدَّ وتر القيثار ؟

لقد كنت أحاول أن أرفع عليه لحناً لا يحتمله ، لهذا انقدَّ وتر القيثار

— ٥٣ —

لماذا تمشين في الحجل بطرة ؟

إني لم أدلف كانشحاذ

غير أني وقفتُ ساعة في طرف الفناء خلف أسوار الحديقة

فلماذا تمشين في الحجل بطرة ؟

* * *

أنا لم أقطف زهرة واحدة من حديقتك، ولا التقطتُ فاكهة

غير أني آويت في خشوع أتفيأ الظلال على جيد الطريق حيث يقف أي عابر سبيل

ولم أقطف زهرة واحدة

* * *

نعم . لقد كانت قدماي تحسان الأعياء ، وقد أخذ المطر ينهمر

وقد ابتدأت الرياح تجاجل بين أغصان الحيزران المضطربة

وتداعت السحب في عرض السماء كأنها تفرع من الخزعة

وكانت قدماي تحسان الأعياء

* * *

لست أدري ماذا كان يدور بخلدك عني ، أو عن ماذا الذي كنت تنتظرين

واقفة لدى الباب

إن دقائق ريثما كانت تتألق في نظراتك المتزنة

أتسنى لي أن أعرف أنك استطعت أن تتوصجي وأنا واقف في الغلس ؟

لست أدري ماذا كان يدور بخلدك عني

* * *

لقد انطوى النهار وهدأت الأمطار هوناً ما

وتركتُ أنا ظلال الشجرة التي في طرف حديقتك، وبدت الجلسة على الحشائش
لقد سجا الليل ؛ فاغلقي الباب ، وسأصدق أنا الى غيبي
فالنهار قد انطوى

— ٥٤ —

إلى أين تومض في سيرك وفي يدك سلة على حين راح النهار يحتضر وقد صفير السوق ؟
لقد عاد كل الى داره يحمل وقره، وقد أخذ القمر يشخص من أعالي شجر القرية
إن صدى الأصوات التي تنادي القمر يتسرب عبر الماء المعتم الى المستقع البعيد
حيث البط البري ينام
الى أين تومض في سيرك وفي يدك سلة ، على حين قد صفير السوق ؟

* * *

لقد غمس النوم أعين الأرض بأطراف بنانه
فصمتت أعشاش الغربان ، وهدأ خفيف أوراق الخيزران
والعمال الذين يسكنون في منأى عن حقولهم ، فرشوا حصيرهم في الفناء
فالى أين تومض في سيرك وفي يدك سلة ، على حين قد صفير السوق ؟

— ٥٥ —

لقد كنا في الظهيرة حين مررت
وكانت الشمس تلهب في كبد السماء
وكنت أنا قد أجرت عملي وجلست وحدي في ظل حين مررت

* * *

هذه النسمات الهينة تهبُّ فتثير روح الحقول الثائرة
والورق تحت الظلال تسجع في غير ملل ، وهنا نغمة تضنُّ في أرجاء حجرتي
تشدو أحبار الحقول الثائرة
لقد نامت القرية في أوار الهاجرة . انظر الطريق خالياً
بين لفيفة وافية تأخذ أزرق شجر يورث من خريف ؛ أخذ ونموت
ورحت أنا أسفُّ التبغ بين أصابعي وأرسم في رمادته حروفاً لم أعرفها أنا ،
على حين كانت القرية تنام في أوار الهاجرة

لقد نسيت أن أصفف شعري فأخذت النسمات الهينة تداعبهُ على صفحات وجهي
والنهر ينساب في هدوء تحت ظلال الشاطئ
والسحب البيض المتراخية لا تبرح مكانها
أما أنا فقد نسيتُ أن أصفف شعري

* * *

لقد كنا في الظهيرة حين مررتَ
وكان ثرى الطريق يفيح نظى ، والحقول يبدو عليها البُهر
والورق تسجع بين لفائف الأوراق
وكنت وحدي في طنني حين مررت

— ٥٦ —

لقد كنتُ واحدة من نساء كثيرات أشغلهم عمل اليوم البيض في تدبير المنزل
فلماذا أفردتني من بينهن وجذبتني من مأوى صامت كنت أعيش فيه في ركود

* * *

إن الهوى الصامت مقدس فهو يشع إشعاع الجوهر في طيات القلب ، وهو يتراءى قائماً في ضوء النهار اللامع

آه لقد نفذت خلال شفاف قلبي ، وبدرت غراس حبي المضطرب في فراغه ، فخطت — إلى الأبد — ركنه الظليل حيث يرتوي عشه

* * *

إن النساء غيرك عندي سواء
فإنهن من انطلقتَ إلى خلقها العظيم : فهنَّ جميعاً لا يدركن سرَّهنَّ
إنهنَّ يبسمنَ ويبكينَ ويثرثرنَ ويعملنَ في رقة ، وهنَّ كل يوم يذهبنَ إلى النهار ويشعلنَ المصابيح ويملأنَ الجرار من النهر

إني أطمع في أن أفقد قلبي من انهار الدموع . . . عار أن لا يجد مأوى غير وجهك ما يبرح يتراءى عني

نعم ، ها هو الطريق منفسح أمامك ، لكنك أنت قطعت عليَّ الطريق ، وخلفت خطاي حسيراً أمام هذا الناس ليجدوا فيه — ليل نهار — في غير خجل